المتخفي

يتخفَّى في زيّ امرأةٍ
مشدوداً حذراً يخرج من بابٍ منفرجٍ بعض الشيء
تتقلَّص عيناه قليلاً
يهدأ ميزان العتمة والضوء
وخفيفاً وبطيئاً يمشي بمحاذاة السور الداكن
يلسعه برد الفجر
يشدُّ الياقةَ
يلمحه رجال الشرطةِ

لكن لا يشتبه به أحد منهم
يتوجّه بالمنشور السّريّ الى منعطف الشارع
ينظر في ساعة يده، وبخفَّةِ أفعى يُخفيها
(الساعة ساعة رجلٍ لا ساعة سيّدةٍ !)
يبتسم مغيظاً
ويغذّ السير الى الرقم السابع

يصعد درجاً خشبيّاً
كالقطّ خفيفاً وخفيّاً
ينقرَ باب الشقَّةِ
يأتي مكتوماً صوت امرأةٍ:
« منذا ؟
منذا القارع ؟ »
ينشقُّ الباب قليلاً
في صمتٍ ينغلقُ على أسرار الوطن الضائع
وترٌ مشدودٌ بين الوجهين
حمَّى مُعديةٌ في الكفَّين

كلماتٌ مبهمةٌ
لحظاتٌ ملهمةٌ

كلمات

لحظات

ينقطع الوترُ المشدودُ
ترنُّ الهمسة
تُفلتُ كفٌّ من كفٍّ
يخرجُ ثانيةً في زيّ غزالٍ
يركض في البريّةِ
بحثاً عن أنثاه اللاهثةِ
أمام كلاب الصيدِ
ويلمحهُ الصيّادُ
يسدّد فوهة مدفعه الرشّاش
يشدّ زناد الحقد الهمجيِّ
تدوّي الطلقة في ردهات الأفق الشاسع
يتعثَّر يسقط ينهض مجروحاً في الكتف اليسرى
يركض مذعوراً نحو الدغل المنخفضِ

وينهار كليلاً جائع

قلقاً، ينظر في ساعتهِ
يهمسُ « حسناً ، بعد قليل
يلقي الليل عباءَته السوداء ضماداً للجرحِ
سلاماً يا حبّة عيني
يا وطني السفّاح الرائع » .
لا يغفي
لا يصحو
لا يعلم
لا يجهل
لا يبكي
لا يضحك
يتخفّى ثانيةً في صورةِ حجرٍ هاجع
ما بين اليقظة والحُلمِ
يداهمه الحرسُ المدنيُّ
تفاجئه مستعمرةٌ أُخرى

أسلاكٌ شائكةٌ أُخرى
تبهر عينيه المتعبتين صفاقةُ نصلٍ لامع
وتشجّ الليلَ وجبهته المكدودةَ
شفة حجرية :
« يا طفلاً تركتْه على قارعة الدربِ
القافلةُ البدويّة
الموتى أجمل
فاحزم جرحك وآرحلْ
بيتك ؟
لا بيت سوى ركنٍ في كهفِ الريح
احزم موتك ... وآرحل ! »
يتشظّى
ينزلُ مطراً
يطلعُ عشباً
يتناسخ
يسكنُ
يصخبُ

تنبثقُ الأعجوبةُ
يتجلّى سوء الطالع
يتجلّى السيف القاطع
ينهض ثانية
يتخفّى في طاقيّة إخفاءٍ أُخرى
ويعود فدائيّا
يُعلنه الأحياء صديقاً أبديّا
يُعلنه الأمواتُ شهيداً أعمى
يُدهشُ أشباهَ الأمواتِ
وأشباه الأحياءِ
ويملأهم خوفا
يمتدُّ على كلّ جهات الدنيا
يمتدّ ولا يتخفّى !